

النمسا الجمهورية في خمسة عشر عاما

٣ - الحرب الاهلية وما بعدها

للاستاذ محمد عبد الله عنان

اخذت الحياة البرلمانية في النمسا تتحدر منذ اوائل العام الماضي الى معترك من الصعاب والعواصف ، وألفت حكومة الدكتور دولفوس نفسها في مازق صعب . ولم يك ثمة بد من ان تنصير المعارضة - أعني الديمقراطية الاشتراكية - اذا تركت الاغلبية البرلمانية في سبيلها وخصومتها ، او تتوسل الحكومة لبقائها بوسائل أخرى . ولكن وقعت في يوم ١٢ مارس أزمة برلمانية الفت الحكومة فيها فرصتها ووسيلتها ، وذلك ان مناقشة عاصفة حدثت في البرلمان في ذلك اليوم حول تصرف نائب اشتراكي اتهم بانه وضع ورقتين في صندوق التصويت ، واشتد القذف والاتهام والمهزلة من الجانبين ، فاستقال الدكتور رنر رئيس المجلس واستقال الوكيلان ، ومن ثم غدا انعقاد المجلس مستحلا ، اذ لا يستدعيه لانعقاد طبقا لنص الدستور سوى الرئيس او احد وكليه ؛ وقدمت الوزارة استقالتها للرئيس ميكلاس فاني قبولها ، وفوض لرئيسها ان يعمل بقوانين الطوارئ . وبذا اتخذت الوزارة صبغة دكتاتورية ، واستطاعت ان تصدر بعض القوانين الاستثنائية التي رأت ان الحاجة تدعو اليها مثل رقابة الصحافة ، ومنع الاجتماعات والمظاهرات السياسية الخطرة على النظام ؛ يد ان الوزارة ما لبثت ان اضطرت ان توجه

رمزا لعصر بغيض أولع الناس فيه بالقيود حتى سلسلوا بيوتهم بهذه السلاسل ، وسيهزأون بهذا النوع من الحياة الساذجة التي تستعين على الرغبات بالمواسير والأسلاك ، وسيستظفرون البنا كما تنظر نحن الى سكان ما قبل التاريخ ، وسيعجبون اذ فرحنا باتصالنا بأهل الارض مع انهم اتصلوا بأهل السماء . وستعود البيوت من غير أسلاك ، ولكنها وافية بالمطالب التي نتمتع بها ، والتي نحلم بها ، والتي لا يقدر خيالنا الآن حتى على الحلم بها ، ويخلق ما لا تعلمون .

أحمد أمين

ولكنه في هذه المرة حزام ناقص - خط رأسي وخط أفقي ، وآلة لا يابها لها النظر ، وفي ذلك سر عجب ، هذا هو الراديو - فيه علم ان شئت ، وفن ان أردت ، وناطق ان أصغيت ، وسأكت ان أعرضت ، ومتحدث بكل لسان ؛ وواصلت بكل مكان - ان شئت معلما تعلم ، أو غناء فغن ، أو فنا ففنان - يهزل حيث تحب الهزل ، ويجد حيث تهوى الجد . يمتاز عن التليفون بأن التليفون طالب ومطلوب ، فاذا كان طالبا فقد ينجحك بخبر ، أو يوقظك من نوم ، أو يحملك مطلباً يشق عليك ، أو يصلك بمحدث يتقل على نفسك ، ثم تريد أن تتخلص منه فلا تستطيع ، فقد لزم الأمر ، وحجم القضاء . أما الراديو فليس الا مطلوبا ، هو عبد مطيع ، وخادم أمين . إما سأكت أو متكلم بما أحببت ، نديم ظريف ، جهة أخبار ، وحقية أسرار ، ترياق الهم ، ورقية الاحزان ، قد تكون له مساو لم أعرفها فان جربتها فسأحدثك عنها بعد .

أين أنت أيتها الخادم التي أعجبت من حنفية الماء ، وأين أنت أيتها الاخرى التي أعجبت من مصباح الكهرباء ، لو كنتما اليوم في بيتنا لشاركتكما العجب ، ولوقفت معكما حائرا من العلم الحديث ، والفن الحديث ، ولا نفردت عنكما بالحزن العميق على ان ليس لنا من هذه المخترعات إلا المشاركة في الاستهلاك لافي الانتاج ، وأنتا في مواسير - الماء ومصابيح الكهرباء وآلات الراديو والتليفون - وما الى ذلك من شؤون المدينة ، لنا أن نشترى وليس لنا أن نبيع ، ولنا أن نكون من النظارة ولكن ليس لنا أن نكون من الممثلين ، ولنا ان نستورد ولكن ليس لنا ان نصدر

ان كنت أيتها الراديو قد دخلت البيت أخيرا فقلت آخر ما يدخل ، فهم يحدثوننا عن سلك آخر سيدخل قريبا يحمل الصور كما تحمل أنت الصوت ، فان كنا الآن نسمع لك فسنسمع بعد ونرى - ومن يدري العل اسلاك أخرى تدخل توزع الحرارة والبرودة بقدر ، واسلاك واسلاك - بل لعل هذه الأسلاك لا تعجب الجيل القادم فيراها بعد ان يتحرر

يحصل على تعديلات هامة في النصوص العسكرية لمعاهدة سان جرمان ، إذ سمح للنمسا أن تزيد جيشها ووسائلها الدفاعية ؛ وتولى الجنرال فلويجوان وزير الحرية وزعيم الحزب المسيحي الاشتراكي (بعد وفاة المونسنيور سيل) تنظيم القوات الجديدة ، ونظم قوات الهايمفر أيضا لحاون في تأييد النظام ، واستطاع الدكتور دولفوس بكثير من الحزم والشجاعة والجلد أن يحبط تحريضات الدعوة الألمانية ودسائسها ، وكاد يفقد حياته في ذلك السيل ، إذ أطلق عليه الرصاص من أحد الدعاة الهتلريين وأصيب إصابة خطيرة (في ٣ أكتوبر) ولكنه نجا ، ولم يزد الاعتداء سوى شجاعة وإقدام في مقاومة الخطط والدعوات الهتلرية ومطاردة أنصارها في جميع أنحاء النمسا .

في أثناء هذا الصراع كانت الديمقراطية الاشتراكية ترقب مجرى الحوادث . وكانت الخصومة الخالدة بين الديمقراطية والكتلة المحافظة (الاشتراكيين المسيحيين والهايمفر) ما تزال قائمة ، ولكن الديمقراطيين الاشتراكيين كانوا يؤيدون الحكومة في قمع الدعوة الوطنية الاشتراكية ، ويشتركون معها في خصومة الجبهة النازية (الوطنية الاشتراكية) لأنها خطر قادم على مثلهم وكيانهم ، يد أنهم لم يهادنوا الحكومة في غير ذلك ، ولم يتركوا فرصة لمعارضتها والعمل على إسقاطها ؛ وكانت الحكومة من جانبها ترضى خطط الديمقراطية ومفاجأتها ، خصوصا منذ تفردت بالسلطة الدكتاتورية ، ورفضت إجراء الانتخابات وإعادة الحياة النيابية . كانت المعركة دائمة مستمرة بين الجبهتين اللتين تشغل خصوصتهما حياة الجمهورية منذ قيامها ، ولكنها كانت في الأشهر الأخيرة معركة تريض وأهبة ، وكان من الممكن بل من الطبيعي أن يقع الصدام بينهما من آن لآخر ، كما وقع دائما خلال الأعوام الأخيرة ، يد أنه لم يكن يتوقع أحد أن تضطرم بينهما معركة الحياة والموت في مثل هذه الظروف العصية ، ولم يكن يتوقع أحد بالأخص أن تلقى الديمقراطية النسوية حثفها في تلك المعركة وأن تختفي من ميدان الحوادث بمثل هذه السرعة .

ولقد شهدنا منذ أسابيع قلائل فقط تلك المعركة الهائلة وتبعنا حوادثها السريعة بمتهى الروع والدهشة ؛ كانت مفاجأة لم تتضح حتى اليوم ظروفها وبراعها الحقيقية . ونكتفي بأن نقدم مناخلاصة

كل جهودها لمقاومة خطر آخر . أخذ يشتد شيئا فشيئا وينذر مصاير النمسا بشر العواقب ؛ ذلك أن الوطنية الاشتراكية الألمانية أخذت منذ استقلالها على مقاليد الحكم في ٣٠ يناير (سنة ١٩٣٣) تتدخل في شؤون النمسا بطرق ورسائل عديدة ، وبث الدعاة الهتلريون في جميع أنحاء النمسا دعوة شديدة لتحقيق مشروع الاتحاد النمساوي الألماني (الانفيلوس) . وضم النمسا لالمانيا كما نعلم غاية جوهرية من غايات الوطنية الاشتراكية الألمانية سجلت في برنامج المهرتلر منذ إنشاء الحزب الوطني الاشتراكي ، وعبر عنها بتحقيق وحدة الشعوب الجرمانية ، وقد شرحنا فيما تقدم كيف نشأت فكرة اتحاد النمسا مع المانيا وتطورت . وكانت الفكرة ما تزال قوية في النمسا لدى الكتلة المحافظة حينما ظفرت الوطنية الاشتراكية بتولى الحكم في المانيا ، ولم يكن يعارضها سوى الاشتراكيين الديمقراطيين ؛ ولكن الياسة العنيفة الهوجاء التي اتبعها حكومة برلين إزاء النمسا ، كانت كما قدمنا سببا في انهيار مشروع الوحدة ، وكشف عنوان الوطنية الاشتراكية وصلفها وتجنبها في الحال للشعب النمساوي عن فداحة الخطر الذي يهدد استقلاله وكيانه ، وأيقن أن هذه الوحدة لا تعنى في نظر برلين سوى خضوعه وعبوديته ، وثارت حكومة فينا ومن ورائها الشعب كله ضد هذا التجنى ، وأبى الدكتور دولفوس حزما وصرامة في قمع الدعوة الوطنية الاشتراكية التي تنظمها حكومة برلين وتمدها بالمال والنصح ، وأجاب الهتلريون بتدبير سلسلة من الاعتداءات والحوادث الجنائية ، ولا سيما في فينا وسالزبرج (شهر يونيه) . وأجابت حكومة برلين على ذلك بمنع السياح الألمان من زيارة النمسا ، وفرضت غرامة فادحة للتصريح بهذه الزيارة ، وسامت العلاقات بين فينا وبرلين إلى أعظم حد ، وشنت وزارة دولفوس بذلك الخطر الجديد الذي يهدد أمن النمسا وسلامتها ، ولم تدخر وسعا في مقاومته ، وأيدها في ذلك خصومها الديمقراطيون الاشتراكيون لأنهم أدركوا الخطر الذي يهدد الديمقراطية إذا ظفرت الوطنية الاشتراكية في النمسا ؛ وعمد الدكتور دولفوس إلى العمل السياسي ، فزار رومولندن وباريس ليشير قضية النمسا باعتبارها مسألة أوروبا الوسطى ، ولين أن استقلالها مسألة دولية تم قضية السلام الأوربي كله ؛ فنجحت مساعيه في هذا الشأن ؛ واستطاع أن يغمم مزاورة دول الحلفاء ضد السياسة الألمانية ، وأن

...

ولقد كان سحق الديمقراطية عملا في منتهى الجراءة والخطورة من جانب الدكتور دولفوس وزملائه وخصوصا لما اقترن به من العنف والضحايا الفادحة . ومن الصعب أن نقول اليوم كلمة حاسمة سواء في المسئولية أو النتائج ؛ فاما من حيث المسئولية فإن حكومة فينا ترجعها جميعا الى الاشتراكيين ، وتقول انه يبدو من اضطراب الثورة في معظم انحاء النمسا في وقت واحد ، ومن شدة المقاومة التي بذلها الاشتراكيون ، ووفرة الاسلحة والذخائر التي وجدت لديهم ، ومناعة الابنية التي اعتصموا بها ، أن الثورة كانت مدبرة ، وأن الديمقراطية الاشتراكية كانت تأهب للقيام بضربة عنيفة للاستيلاء على مقاليد الحكم ؛ بيد أنه يقال في ذلك أيضا إن الحكومة دلت على مثل هذه الأبهة ، وأن ما أبدت من الشدة والعنف في قمع الحركة ، ومن قسوة وافراط في إراقة الدم ، ومن تصميم على سحق الديمقراطية الاشتراكية لإخضاعها فقط ، يدل على انها عملت بتدبير وقصد ؛ وتتهما بعض الدوائر الخارجية فوق ذلك بانها كانت تعمل في ذلك بوحى من السياسة الإيطالية . واما من جهة النتائج فن الديمقراطية الاشتراكية كانت سندا قويا للحكومة في كفاحها ضد الدعوة القبلية ، وكانت بطبيعتها هي الصخرة التي تتحطم عليها محاولات الرطية الاشتراكية الألمانية ، فالآن وقد سقطت ، فانه يخشى أن لا تستطيع الكتلة المحافظة أن ترد بمفردها عدوان السياسة الألمانية ، ومحاولات دعائها في الداخل ؛ واختفاء الديمقراطية الاشتراكية من الميدان يشجع الحركة الفاشستية على الظهور ، وقد اشتد ساعدها الآن بالفعل واضحا لانصارها . الهايمفر ، كبير نفوذ وسلطان في الحكم وفي تسيير الشؤون العامة ، والهايمفر يملكون اليوم ارادتهم على حكومة فينا ، وليس بعيدا أن يتحركوا غدا لانتزاع الحكم . يدان . الهايمفر ، مازالوا يؤكدون خضوعهم للدستور ررلا هم للحكومة ؛ وقد نقوا غير مرة بلسان زعيمهم البرنس شتارمبيرج ما ينسب اليهم من التأثير بوحى السياسة الإيطالية ؛ وصرح البرنس شتارمبيرج غداة سحق الاشتراكية ، بأن الفاشستية النمساوية تقتبس حقيقة من مبادئ الفاشستية الإيطالية ولكنها ليست مقلدة عمياء ، بل هي تفكر وتعمل طبقا لظروف النمسا وحاجاتها ؛ ولخص برنامج حزبه فقال : ان الهايمفر ابعد ما يكون عن فكرة ارهاق الطبقات العاملة ، ولكنهم

وجيزة عن تلك الحوادث التي لاتزال ماثلة في الاذهان ؛ ففي ظهر يوم الاثنين الثاني عشر من شهر فبراير ، ذهب سرية من رجال البوليس لتفتش دار العمل (مركز الديمقراطيين الاشتراكيين) في مدينة لنتز عاصمة النمسا العليا ، فاطلق الجنود الديمقراطيون (الشوتسبند) النار على البوليس والقوا عليه القنابل ؛ فقتل عدة من رجاله ؛ فارسلت الحكومة في الحال عددا كبيرا من الجنود ، ونشبت المعركة الاولى في لنتز بين الديمقراطيين وجند الحكومة ، والظاهر أن هذا الحادث الأول كان إيذانا بنشوب المعركة العامة . ففي نفس الوقت قطع العمال في فينا التيار الكهربائي فعطلت المواصلات ، وأعلن الاعتصاب العام ؛ وكان ذلك بدء الحرب الاهلية فاعلنت الحكومة القانون العسكري وحشدت القوات بسرعة البرق في كل ناحية ، ولم يأت المساء حتى كانت مدينة فينا تضطرب بظن معارك هائلة ؛ وتحصن رجال الشوتسبند في مساكن العمال الكبرى ، ولا سيما في كارل ماركس هوف ، وأوتاكربنخ وسيمرج وفلوريتسدورف ، وغيرها من ضواحي المدينة الآهلة بالعمال ، وأصلوا جنود الحكومة وابلا من الرصاص والقنابل ، واطلقت قوات الحكومة المدافع الكبيرة على معاقل الاشتراكيين ؛ واستمرت المعارك في اضطرابها وشدها حتى يوم الاربعاء . ووقعت مثل هذه المعارك في عدة مدن في الاقاليم ، ولا سيما بروك وشير وجراتز واشترك جنود الهايمفر مع قوات الحكومة ؛ وأبدى الاشتراكيون شجاعة وبسالة نادرتين في الدفاع عن معاقلهم وأنفسهم ؛ واستعملت الحكومة منتهى الشدة والعنف ؛ وقبضت على الموظفين الاشتراكيين وعلى أعضاء المجلس البلدى ؛ وقررت حيل الحزب الاشتراكي الديمقراطى ومصادرة مراكبه وأوراقه وأمواله وصحفه وكل مؤسساته ، وصدرت أحكام الاعدام ونفذت على كثير من الاشتراكيين ، ولم يأت مساء الخميس ١٥ فبراير أى رابع يوم فقط من بدء القتال حتى كانت قوى الاشتراكية الديمقراطية قد حطمت في كل ناحية ، وغدت قلوبا لئيمة ؛ وقبض على عدة من زعمائها مثل دنر وسايتر وسفر ، وذ النيمان باور وديتش الى تشكوسلافيا ؛ وانهت تلك المأساة الدموية بمقتل الفين وجرح آلاف من الجانبين ؛ واختفت الديمقراطية الاشتراكية من الميدان ، واختتمت حياتها القوية المحافظة بسرعة ، وقضت الكتلة المحافظة (الاشتراكيون المسيحيون والهايمفر) على خصوصها الخالدين لتتفرد بالاشراف على مصائر النمسا

يعملون بلجج كلمتها حول مثل اجتماعية مشتركة ؛ والهايمفر مخلصون لمبدأ الجامعة الجرمانية ، وليكنهم أيضا مخلصون لمبدأ الاستقلال النموى ، ولا يقبلون بأى حال أن تبسط المانيا سيادتها على النمسا ، ولا أن تبذل النمسا ذرة من استقلالها فى سبيل ارضاء المانيا . وهم يتكرو ن مبادئ السياسة المعترية كلها لانها تاتى منهم النصرانية . هذا وليس هنالك فى الآونة الحاضرة ما يدل على أن الهايمفر يفكرون فى القيام بأية حركة لمقاومة الحكومة ، وكل ما هالك بالعكس يدل على أن التفاهم تام بين الفريقين .

وقد اتخذت مسألة استقلال النمسا عقب الحوادث الاخيرة أهمية خاصة ، ولا سيما لما تبين من أن النازى النمويين (الوطنيين الاشتراكيين) ، سواء داخل النمسا أو فى المانيا حيث يحتشد منهم عدة آلاف يتربصون الفرص لتنفيذ خطط حكومة برلين ، ويدبرون الوسائل لاحداث انقلاب يمكنهم من انتزاع الحكم . وحكومة برلين هى التى تقوم فى الواقع بتنظيم هذه الحركة كلها ، وقد انتدبت لذلك عدة من الدعاة والمحرضين على رأسهم الدكتور هاينخت ، وحشدت من اللاجئين النمويين قوة عسكرية كبيرة تهدد من آن لآخر باقتحام الحدود والزحف على فينا . وقد غدت مسألة استقلال النمسا مسألة دولية ، وانتهت المساعى التى بذلتها حكومة فينا فى ذلك السيل بأن اعلنت ايطاليا وفرنسا وبريطانيا العظمى فى تصريح رسمى بانها ترى وجوب المحافظة على استقلال النمسا كشرط لاستتباب السلم فى أوروبا ، وابدت ايطاليا اهتماما خاصا بمقاومة مشاريع السياسة الالمانية لانها تهدد سلامة حدودها الشمالية ومصالحها فى أوروبا الوسطى ، وتوترت العلاقات من أجل ذلك بين المانيا وايطاليا . وانتهت الجهود التى بذلها السنيور موزوليني فى ذلك السيل بأن عقد أخيرا فى رومة ميثاق سياسى إقتصادى بين ايطاليا والنمسا والمجر يرمى الى توحيد الجهود السياسية والاقتصادية بين الدول الثلاث فى سبيل رد أى اعتداء يوجه الى حقوقها أو مصالحها . وكان من أثر ذلك أيضا أن قويت الدعوة الى إعادة الملكية فى النمسا كوسيلة لتقوية استقلالها والقضاء على اسباب الخلاف الداخلى فيها ، وليس فى معاهدة الصلح (سان جرمان) ما يمنع عودة آل هابسبورج الى النمسا وعودة العرش النموى ، ولكن الحلفاء كانوا يعارضون دائما فى هذا العود ، يد أن الفكرة تلقى اليوم

قبولا فى كثير من الدوائر التى كانت تنكرها من قبل ، وقد نشطت هذه الدعوة أخيرا فى النمسا ، واقامت عدة اجتماعات من أنصار الملكية تحت رعاية الحكومة ، وقيل إن الرئيس ميكلاس ينوى الاستقالة من منصبه قريبا ليمهد الى هذا العود ، ولا يوجد فى النمسا من يعارض الفكرة الآن بعد ذهاب الديمقراطية الاشتراكية ؛ وهى بالعكس تلقى تأييدا من الحزب المسيحى الاشتراكى (حزب الحكومة) ومن حلفائه الهايمفر . ويرى أنصار الفكرة أن عود الملكية خير وسيلة للقضاء على مشاريع السياسة الالمانية فى ضم النمسا (الانشلوس) وأما فى الدوائر الخارجية فان ايطاليا وفرنسا اللتين كانتا تعارضان من قبل فى هذا العود أشد المعارضة ، لا تريان اليوم بأساته ، وفى وسع فرنسا أن تذلل معارضة حليقتها تشيكوسلوفاكيا وفى وسع ايطاليا أن تذلل معارضة صديقتها المجر ، وعندئذ تغدو مسألة عود آل هابسبورج الى عرش النمسا مسألة تخص النمسا وحدها ، وتتوقف على ارادة الشعب النموى وحده .

تم البحث ، محمد عبد الله عنان

الجامع اللطيف

فى فضلك وأهلها وبناء البيت الشريف
تأليف جمال الدين بن ظهيرة القرشى المخزومي

حياة الشرق

تأليف الأستاذ محمد لطفي جمعة

يطلب من مكتبة مطبعة عبد الباقى الجلبى وشركاه بمصر
بجواز تسجيل المحسين تأليف ٥٠٨٥٦ سنة ١٣٠٥ برسم القرية ٣٠ مصر